الشباب العربي والثقافة في عصر العولمة

أ/البلي مسعود

استاذ مساعد –أ– قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة، الجزائر

ملخص:

يمكن أن نقرر أن الشباب العربي في العصر الحديث، قد دخل نتيجة ظروف عديدة حلقة مفرغة ستزيد من تفككه وتقويض ثقته بنفسه وضمور إبداعه؛ فالشباب اليوم ينظر الى النهضة في قالبها الغربي على أنها اللّحاق بالغرب، والابتعاد عن الذات والتراث، والثقافة على أنها كل ما أنتجه الغرب وبالتالي التفسخ وفقدان المعايير، وعبادة اللّذة في الاطار المادي المنفصل عن القيمة.

إن اختزال الثقافة في العولمة من لدن الشباب، يعني ذلك تقبّل اللامعيارية التي هي جوهر ما بعد الحداثة، وبالتالي تقويض الظاهرة الانسانية للعقل العربي، هذا في ظل أزمة الثقة المتبادلة بين الحكومات العربية وشعوبها وجدلية الأصولية والتغريب. إن الاختراق الثقافي والاخلاقي معاً، قد شكّلا بؤرة لانتشار العديد من مظاهر التفسخ، التي شكلّت بدورها الظّاهرة العامة للشباب العربي؛ فالآراء والمعتقدات والاتجاهات التي يعتنقها الشباب اليوم، ينظر من خلالها على أنّها صياغة ذهنية ذاتية تساعده على تحديد رؤية للعالم الخارجي وتفسير الواقع المعيش.

هذه الأوراق البحثية هي معالجة لمخاوف ومخاطر انقراض الثقافة أو تضاؤل الهوية أو تبددها، في مقابل الهيمنة الغربية الشاملة، كما معرفة سياسات الحكومات العربية، لمواجهة تحدّيات هذه العولمة على الرأسمال البشري العربي وآفاق الاستثمار فيه.

Abstract:

Arab youth and culture in the age of globalization It is certain in the modern era that Arab youth has entered as a result of many circumstances a vicious-circle; which will increase his disintegration, undermine his self-confidence, and weaken his creativity. Arab youth today considers progress and development in its occidental model as following and catching the west, and leaving behind his identity and heritage. Arab youth also considers culture as everything produced by the occident, this fact has lead those young people to shift and deviate from their ethos and moral values, and to embrace pleasure in its materialist frame separated from ethics.

The diminishment of culture into one facet of globalization means the acceptance of non-criteria approach that is the core of Postmodernism, as a result the humanist side of the Arabic thought has been undermined .This fact emerged in light of the crisis of mutual trust between Arab governments and their citizens, and the controversy of fundamentalism and Occidentalism.

The intrusion of both culture and ethic has led to the shift and deviation from Arabic values and behaviours, which in turn constituted a general phenomenon for Arab youth. Opinions, beliefs, and attitudes held by those young people today are considered as self-mental perception that helps to define a vision of the outside world and to interpret the reality of life.

This research paper addresses the concerns and risks of the extinction of culture; or the diminishment of identity, its breakup against the Western hegemony in the Arab world. It also focuses on the policies of Arab governments to face the challenges of globalization on Arab human capital and investment prospects.

مقدمة

إن المتتبع للدراسات الأكاديمية في العلوم الاجتماعية عموماً، يلحظ كيف أن هناك مشكلة في التعامل مع مفاهيم الثقافة والعولمة، هذا ما أدى الى وجود تمايز لدى الباحثين في تقديم مضامين أصيلة خاصة بها، مستندين في ذلك بنماذج إرشادية ومقاربات معرفية أكثر تعقيداً؛ خاصة إذا تعلّق الأمر بتحليل نقدي للمجتمعات التي تمر بأزمات على مستوى الثقافة والهوية وغيرها.

المجتمعات العربية لاشك أنها تعاني أزمات متعددة، وتجارب متعثرة تُصوّر بشكل عام مشهد الضعف، الذي يمكن أن نُحيله الى أنها ظلّت تساير منذ استقلالها السياسي منجزات الحضارة الصناعية، وما لازمها من التقاليد العلمية، فبقيت مرتبطة بنماذج العصر، للّحاق بالغرب وتحقيق التقدم المادي. هذا كلّه مرتبط بالعولمة التي تبنت مصوغات أن النظام العالمي الجديد سيقود في النهاية الى الرخاء والقضاء على الفقر، وبشكل أوسع الى الحداثة، وبالتالي طغت مشكلات اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، دينية أخلاقية، وسياسية، ضمن سياسة الاحتواء العالمي والتي تقفز على الدولة والأمة والوطن، وتدفع الى التفتيت وافراغ المجتمعات من إرثها واشعاعها، من أجل خلق عالم بلا دولة ولا أمة ولا وطن. (1)

فإلى أي مدى يمكن أن نلاحظ خطورة العولمة على الصعيد الثقافي والهوياتي للشباب العربي؟ أم أن العولمة بالنسبة لنا هي مجرد مخاوف من ظاهرة دينامية تعكس الانسان النهضوي الغربي؟.

كما تطرح الضرورة البحثية أن نثير عدة تساؤلات وهي:

-ما المضمون الحقيقي للعولمة في ظل التمايز في المفاهيم والخلفيات الايديولوجية؟

-كيف يمكن إدراك تهديدات العولمة على المجتمعات العربية عموماً، وعلى فئة الشباب العربي بالتحديد؟

-في ظل الهيمنة الغربية، وافرازات ما بعد الحداثة، والواقع العربي كيف نتعامل مع العولمة في الحفاظ على الهوية والشخصية الحضارية العربية؟

-ماهي السياسات الكفيلة بحماية البعد الهوياتي، وتعزيز البعد الحضاري ضمن المنطقة العربية، والتعامل الإيجابي مع الشباب.

تعد الثقافة أحد أهم أركان قوة التطور والتنمية البشرية، هذا بالرغم من اختلاف الدارسين في علم السياسة والاقتصاد والاجتماع في تحديد مضمونها؛ حيث وصل الامر ضمن النماذج الارشادية، من اعتبرها "الثقافة" وليست السياسة، هي التي تحدد نجاح أي مجتمع، فنجد **درايتزل** يؤكد أن الثقافة لا تخلق من فراغ؛ إنما هي تتفاعل طوال الوقت مع مختلف ركائز القوة في المجتمع، حيث تسعى الى ترسيخ قيم شرعية، وأساليب تنشئة اجتماعية، قيمياً وتوجهاً، وتقوم بدورها في جعل الفرد مرتبط بها وبأنماطها ومدافعاً عنها، علاوة على تقديمها تفسيرات محددة لمسار الحياة الانسانية، لذلك يرى **درايتزل** أن الثقافات تعاني دوما من ثلاث أزمات محددة: هي أزمة هوية، أزمة شرعية، وأزمة عقلانية.

على الرغم من انتشار العديد من الابحاث المنفصلة حول: الثقافة، الحضارة، التنشئة الاجتماعية، والعولمة.....الخ، إلا أن هذه الدراسات لاتزال قليلة من حيث أنها لم تبرز أهمية موضوع البعد الثقافي بين الدول، والتهديدات الحقيقية التي تتعرض لها الأمة العربية عن طريق العولمة، بغض النظر عن إجابياتها، واختفاء الجهود الذاتية للحكومات وبقاءها ضمن دوامة الاعتماد المعرفي على الآخر والركض وراءه، وهذا يدعونا الى التساؤل التالي: هل تم ادراك من الفاعل ومن المستهدف ضمن هذا التفاعل الثقافي العالمي؟ هل هي الحكومات؟ أم النخب المثقفة؟ أم مؤسسات المجتمع المدني؟ أم المواطن الفرد؟.

تكمن أهمية الدراسة في تحليل وإقامة أطروحات تسعى الى التنبؤ الصادق بالمستقبل، والأخذ بالرأي القائل بضرورة صناعته، وأن نتعاون جميعاً في التنوير المعرفي، ضمن مشروع واحد وهو صناعة حياة الشعوب، ونعتقد أن كل من يوّد تطوير مشروع معرفي حضاري مستقل، لابد أنه سيساهم في وضع أسس مدرسة نقدية، تبدأ بنقد الذات، ودراسة الآخر نظراً لسطوته وهيمنته في شتى مناحي الحياة، وكذا توضيح غربية الآخر لا عالميته؛ من خلال مقارنة البُنى والانماط الحضارية الأخرى التي يتعامل معها الشباب العربي.

تهدف هذه الأوراق البحثية إلى إبراز مدى التدهور والاهمال القيمي العربي، نتيجة الافراط في التعاطي مع الصناعة الثقافية الوافدة عبر عدة وسائط، وبالتالي انتشار القيم المادية المطلقة بدل القيم الروحية الفاعلة.

كما أن المجال الثقافي العربي لا يزال يراوح مكانه، من حيث أنه محفوظاً ضمن إطار عاطفي وأحكام مسبقة.* دون بناء محصّنات ثقافية، ردعية يمكن تسويقها دون خوف من الآخر، وهذا ما سيوضحه هذا البحث.

إبراز أولوية الوعي العقلاني في التعامل مع الخطاب الفلسفي الغربي، خدمة لغاية واحدة، وهي عدم المساواة بين العقل الانساني والطبيعة المادية، ضمن التصورات المهيمنة لما بعد الحداثة، والفوضى الفكرية المتعمدة والمسوّقة على أنها النموذج الأمثل للمجتمعات العربية. وتبرز أهمية الوعي هنا نتيجة الأزمة الفكرية التي يمر بها الغرب بعد الانجاز والتفوّق المادي، وتراجع مركزيته نتيجة المشاكل والأزمات الحضارية الجانبية، وتزايد اغتراب الانسان الغربي عن ذاته وعن بيئته، مقابل ظهور أقطاب حضارية متألّقة مثل اليابان، والصين، وشرق آسيا بشكل عام.

محاولة توضيح أهمية الهوية الثقافية، في كونها مصدر للوحدة وسبل التحرر من انعكاسات العولمة على الشباب العربي، ومنهل للنهضة فكراً وسلوكاً، فالثورة الفكرية الخلاقة لا تحدث دون وجود ثقافة بناءة تحتوي ايجابيات الآخر دون الذوبان فيه، ولا انكاراً لوجوده، مع العلم مسبقاً أن الشروط الضرورية للنهضة الفكرية والثقافية في العالم العربي، ليست صعبة المنال خاصة في وقتنا الراهن مع تصاعد الاحتجاجات والحركات المطلبية هنا وهناك.

تقديم عرض لأهم المحاور المتعلقة بالاختراقات الغربية من الناحية الثقافية والأخلاقية، للعالم العربي وتفسير الواقع المجتمعي فيها مقابل الهيمنة الغربية الشاملة.

تقتضي هذه الاوراق البحثية، استخدام بعض من المقاربات التي تساعد في تصنيف الأفكار وتحليلها، للإحاطة بالقضايا الفكرية ومن بينها:

- ✓ **أولاً**: ***اقتراب التحليل الثقافي***: وهو اقتراب معرفي يساعد على سبر أغوار الكثير من الظواهر الانسانية الجديدة مثل : الصحوة الاسلامية، الانبعاث القومي، الثورة الثقافية....الخ، ويتوزع هذا الاقتراب على أربعة مداخل وهي:

1-ذاتي: ويركز على المعتقدات والاتجاهات والآراء، والقيم التي يعتنقها افراد المجتمع، وينظر للثقافة على انها صياغة ذهنية ذاتية لتفسير الواقع.

2-بنيوي: وينصرف إلى الانماط والعلاقات القائمة، بين عناصر الثقافة، ويسعى إلى التعرف على القواعد التي توفر قدراً من التجانس على ثقافة ما، أو تمنحها صفة بارزة عما عداها من صفات ناهيك عن التعرف على نوعية الخطاب الذي تنتهجه.

3-تعبيري: ويركز على الصفات الاتصالية للثقافة، سواء من زاوية المعلومات أو الرسائل والشفرات وكيفية إدراكها، في حالة تفاعلها مع البناء الاجتماعي بوصفها ظاهرة جمعية، لا تجربة فردية.

4-مؤسسي:ينظر للثقافة باعتبارها تتشكل من فاعلين وتقوم على أكتاف منظمات وهيئات في حاجة الى موارد بشرية.(2)

✓ **ثانياً**: ***اقتراب الاعتماد المتبادل***: حيث يشير "كوهين و ناي"، على أن العولمة كدولة العالم، متضمَنة شبكات متعددة الأبعاد والعمليات، تعتمد على التنافسية، وتدفق المعلومات والاحصائيات والاستراتيجيات، من أجل خلق مؤسسات عالمية.(3)

ثالثا: ***المدخل الحضاري***: ويعتبر مدخلاً تكييفياً جديداً، وجديراً بالاعتبار والتحليل في العلوم الاجتماعية في العالم العربي، حيث أنه لا يقوم على القبول الايديولوجي، ولا على الرفض للأطر التحليلية الغربية، وإنّما يتعامل معها من منطلق معرفي، في كيفية التواصل والتلاقح والتوظيف والاستخدام، كما يراعي خصوصية الظواهر في النظم العربية، وأبعادها التاريخية والثقافية، ويسهم في نفي الثنائيات الايديولوجية، ويبرز أن المشكلة معرفية بالأساس، حيث يزوّدنا هذا المدخل بوحدة تحليل أساسية ألا وهي "الكيان الاجتماعي الحضاري"، وهو مفهوم متعدد الأبعاد: المكانية، والزمانية، والمادية والقيمية، كذلك يقدم هذا المدخل مفهوم "البيئة الحضارية"، ومفهوم" الدافعية الحضارية" وكذا مفهوم" الفعالية الحضارية".(4)

رابعاً: ***مدخل الانتشار الثقافي***: تعتبر عملية التغيير الثقافي، مدخلاً هاما يستتبع تغييرات اخرى في الميدان الاقتصادي والسياسي...فحركة النهضة الاوربية كانت ثمرة عصر الأنوار الذي حرر المجتمع الاوربي من القوالب الفكرية والثقافية الجامدة، التي رسختها الكنيسة في ذلك الوقت. ولقد كان لانتشار العلوم الاسلامية، واحتكاك الثقافة الاوربية بالتراث الشرقي الأثر الكبير في هذا الميدان، وضمن هذا الاطار يرى أنصار اتجاه الانتشار الثقافي والحضاري أسلوباً فعالاً يمكن من خلاله، أن تلج المجتمعات التقليدية المتخلفة الى عصر النهضة والتقدم، وهذا باتباع النمط الثقافي الغربي، أي تحقيق التماثل الغربي في كل أوجهه.(5)

I. *تحديد المفاهيم*:

أولاً: *الثقافة*:

يؤكد الباحث الالماني **شبنغلر** بأن الثقافة تعني التقدم التاريخي التي عرفته الحضارات الكبرى، ضمن التاريخ الانساني، حيث تستطيع الثقافة أن تنطلق ثم تسقط؛ بمعنى "اهتلاك الثقافة". حيث يعطينا مثالاً عن ثقافة الغرب وبطريقة تحليل مورفولوجية، يرى بأنها وصلت الى ذروتها واشعاعها، وقد بلغت حدود فناءها وموتها.(6)

لقد تم الاختلاف في تقديم تعريف للثقافة، نظراً لاختلاف أبعادها، فهناك من يعرّفها بأنها نموذج كلي لسلوك الإنسان، وقيّمه وعاداته، وأفكاره، وأفعاله، وقدرته، واتجاهاته، وهي المحتوى الكلي الانساني للحضارة، وتشمل كافة جوانب الحياة ومكوناتها المادية والمعنوية: المادية وهو ما ابدعه الانسان من ادوات ومعدات ووسائل، واساليب للتكيف مع البيئة، وهذه المكونات مرتبطة بالجانب المعنوي وتابعة له، حيث يضم الجانب المعنوي: العقيدة، الأخلاق، الأعراف، القيم واللغة، التي هي أبرز مكونات الثقافة وجوهرها ومرجعيتها، وفيها تكمن الخطورة في التأثير.(7)

ثانياً: ***الشباب***: هناك العديد من الاتجاهات التي تعرف الشباب منها: الاتجاه البيولوجي "السيكولوجي"، والسوسيولوجي، حيث يعرفه الاتّجاه الأخير، على أنه:" ظاهرة ثقافية، وهم فاعلين اجتماعيين في وضع ثقافي خاص".(8)

من هنا يمكن القول أن الشباب بشكل عام وهو يعيد اكتشاف ذاته، يسعى الى أن يتحقق موضوعياً من حقائق الوجود الاجتماعي بحثاً عن أدوار فاعلة في الحياة يتسع حيّزها لعطاءاته الحيوية.

ثالثاً: ***العولمة***:

لازالت ظاهرة العولمة تثير الجدل الواسع بين المفكرين والمنظرين في علم السياسة والاقتصاد، والاجتماع... منذ زوال المعسكر الاشتراكي، وانفراد أمريكا كقائد للمعسكر الرأسمالي.(9)

هناك فرضية تقول بأن مصطلح العولمة يشير الى ذلك النظام الجديد للعالم ودمجه، وإلغاء الفواصل والحدود الجغرافية والزمنية والموضوعية بين الدول والمجتمعات، بفضل الثورة العلمية والتقنية، لكن ومع ذلك لا زال مفهوم العولمة يتّسم بالغموض والتعقيد وعدم التناسق بين الدلالات النظرية والواقع المعاش.

على غرار ما ذكره الباحث **غراهام تومسون** بأن محاولة الكتابة في موضوع العولمة ليس بالأمر الهيّن نتيجة تناولها بمعان متعددة، حيث لا يوجد تعريف محدد لها، كما أن هذا الاختلاف راجع الى الخطاب الايديولوجي المساند لها؛ حيث أن العولمة نجدها مرتبطة بالرأسمالية التي سعت الى تنظيم معالم النظام الاقتصادي العالمي منذ بداية القرن 18، وأصبحت الدول الصناعية مركز هذا النظام، بينما بقيت الدول النامية على هامشه، وهو يهدف الى توحيد العالم على أسس

انتاجية وبالتالي سوق عالمية موحدة تتحكم فيها الشركات المتعددة الجنسيات، ويعتقد أنصار هذا الرأي أن المال هو الذي سيقود هذا النظام وليس القدرات العالمية والتكنلوجية.[10]

إن المتأمل في فكرة العولمة، يجد أنها ليست جديدة بالدرجة التي توحي بحداثة المصطلح فبعض المفكرين يفرقون بين عولمة قديمة و أخرى جديدة؛ فإذا كانت العولمة حركة تاريخية تهدف الى تقارب الشعوب، ودول العالم فهي ليست جديدة، هذا الاتجاه ارتبط بما جاء في الديانات السماوية التي دعت شعوب العالم الى التقارب والتكامل.[11] ويرى آخرون أنه اذا كانت العولمة تهدف زيادة الروابط الاقتصادية والتجارية والمالية، فان ذلك جاء مصاحباً لبروز التوجه الرأسمالي كنظام اقتصادي عالمي، منذ حوالي 300 سنة وأصبحت الدول الصناعية مركز سيطرة هذا النظام الماي.

إن محاولتنا تقديم تعريف دقيق للعولمة غير ممكن، ولا يمكن حصرها في تعريف واحد، ولو تميز بالدّقة المتناهية؛ نظراً لتعدد أبعادها ومستوياتها. فقد ارتبط مفهومها بمجموعة التطورات في المجالات الفكرية والتكنلوجية والاقتصادية، زادت من تقارب العالم مما أدى الى زيادة الوعي بما يحدث من حركة تتجه نحو تكوين عالم بلا حدود أين تقاربت المسافة الجغرافية والموضوعية، وترابطت المجتمعات وزالت فكرة العزلة والتقوقع.[12]

يمكن اعتبار العولمة أنها ظاهرة تتداخل فيها الجوانب الاقتصادية، السياسية، الثقافية، الاجتماعية، والسلوكية، وعلى هذا الاساس هي تشكل مفهوماً محورياً، وذلك بالنظر الى شيوع مفاهيم أخرى بديلة، أُطلقت على معناها مثل: الكونية–الشوملة–الأمْرَكَة*–التغرب...، ويرى **عز الدين اسماعيل** أن العولمة يمكن استخدامها كصيغة مصدرية أي دالة على الممارسة والفعل، فتسمى:globalization. وعكس هذا الاتجاه يؤكد **حافظ دياب** أن مفهوم العولمة يثير مشكلة مفاهيم حين يتم التفريق بين العولمة كواقع، وكأيديولوجية فالأولى تعني دينامية الظاهرة، والثانية تعني الديناميكية الذاتية، وهناك اتجاه يفرق بين العولمة كحالة state of affair وبين التَعَوْلُم globalabilty كعملية process، وعلى القابلية للتعَوْلُم أي ذاتي القدرة للوصول إلى العولمة.[13]

لقد عرف **غيدنز** العولمة بأنها حصيلة الحداثة، أما **كستلز** فيرى بأن الحداثة هي من نتائج الثورة الصناعية، وقد استطاعت ان تنتشر ببطء في جميع أنحاء العالم على شكل استعمار، في حين أن تكنلوجيا المعلومات أخذت تتسع في أقل من عقدين من الزمن(من السبعينات حتى

التسعينات) وأن الفارق الأساس بين عهد الحداثة والعولمة هو أن الحداثة اتخذت شكلاً استعمارياً، بيد أن العالم تأثر بسرعة العولمة.(14)

تقاس العولمة من خلال مؤشرات حسابية لمدى تأثر الدول وتقدمها في العولمة، مع الاخذ بعين الاعتبار استقلالها في المجالات الاقتصادية، الاجتماعية، التقنية، الثقافية، السياسية والبيئية، وهذا المؤشر يسمى بمؤشر kof* بحسب المعهد الفيديرالي السويسري للتكنولوجيا.

لكن هذا المؤشر قد لا يتوافق مع قدرات الاستقلالية لدى الدول العربية مثلاً؛ نتيجة تبعيتها في ميادين شتى، وفشلها في مسايرة سرعة انتشار آثار العولمة من جهة، وعدم امتلاكها لبدائل فعالة لتعديل مسارها أو تجنب آثارها من جهة ثانية.

كما أن أبرز منظري الاتجاه النقدي للعولمة **دانييل دريزنر**** صاحب فكرة نهاية الدولة القومية يؤكد على أن الدولة القومية تفقد نفوذها في السياسة العالمية بسبب قوى السوق ضمن فكرة الاعتماد المتبادل، بشكل مباشر أو غير مباشر، ولا تستطيع العلوم الاجتماعية التقليدية تفسير ذلك الأثر بالرغم من أن جل الوصف المقدّم دقيق.(15)

عندما تتجرد القومية من أي هدف اقتصادي أو وطني فإنها تفقد صلتها بالحياة. ففلسفة **فوكو ياما** الفردية تذهب الى أبعد من ذلك لترى أنه يجب على الافراد أن يعيدوا تجهيز أنفسهم على الدوام لحياة عملية جديدة في مدن جديدة، حيث يتضاءل فيها الشعور بالهوية التي تمدُّهم بها نزعة الانتماء، أما الجزء العقلي في الفرد سينتصر على الجزء اللامعقول ذي النكهة الذاتية للنفس.

إن هذا التغيّر في الافراد يؤدي الى تجانس حضاري أكثر عندما يجد الناس أنفسهم مع غيرهم في عالم واحد وحضارة كلية أين تتلاشى القيّم وتنتشر اللاعقلانية المفرطة، سواء في هذا الجيل أو في الجيل القادم؛ حيث تتوحّد العوامل الثقافية والفكرية والمعرفية، بالعوامل الاقتصادية والجيوبوليتية، هذا إذا سلمنا بحتمية الاعتماد الاقتصادي للعولمة.

II. *أنماط العولمة وآثارها على الشباب العربي من منظور الثقافة والهوية:*

"إن أمريكا تؤمن بأن قيّمها صالحة لكل الجنس البشري، وأننا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم الى صورتنا."، هذه المقولة هي للرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية بيل كلينتون الذي يؤكد من خلالها، على أن هناك رغبة والتزام يقيني لتحويل المجتمعات الى صورة عن المجتمع الامريكي وما يحمله من قيم و ميزات، أهم رد يمكن أن يقدم لهذا الهوس الفكري هو من

المؤرخ الامريكي "**رونالد ستيل**" ، هذا الهوس الذي يسميه مالك بن نبي بالتوجيه الثقافي، والذي يعني الخلط بين الثقافة والعلم، أي بين القيّم والعلم، لأن هناك تناقض بين المفهومين؛ فطابع الثقافة يتميز عن العلم في كون الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وتعرّف الثقافة بحسب وجهة نظر بن نبي، على أنها "مجموعة الصفات الخلقية والقيّم الاجتماعية التي يتلقّاها الفرد منذ ولادته، كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، وبالتالي هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته".[16]

لذا يرى **ستيل** بأن الثقافة التي ستسود العالم في زمن العولمة هي ثقافة أفلام الحركة والعنف والجريمة(...)، وأن الولايات المتحدة غير جادة في تقديم ثقافة راقية للعالم.[17]

في ظل هذا السجال الفكري نستطيع القول أن للعولمة عدة أنماط تختلف باختلاف مضامينها وأهدافها الظاهرة والخفية، حيث هناك: العولمة السياسية، العولمة الاقتصادية الاجتماعية، والعولمة الثقافية.

1-العولمة السياسية: إنها فقدان السيادة ودورانها في عجلة العالمية، وفق النظام العامي الجديد وهذا يؤدي بالدول المتأثرة إلى فقدان نفوذها وتأثيرها في عالم السياسة.[18] كما يتم خلال هذا النمط فرض سطوة القطب الغالب دون معايير أخلاقية أو آداب سياسية.[19]

2-العولمة الاقتصادية: هي حقيقة التحوّل الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز، بقيادتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل الغير متكافئ.[20]

3-العولمة الاجتماعية: وفيها تتعرض مؤسسات المجتمع لكثير من الضغوط الخارجية، التي تستهدف التأثير في معتقدات ابناءه ومشاعرهم، واتجاهاتهم، وانتماءهم الى مجتمعهم من خلال التقنيات الحديثة المتطورة، والاختراق الاعلامي المباشر، والغير مباشر ضمن التأثير في شخصية الفرد نفسياً واجتماعياً، وعقلياً وتقبله لكل ما يستقبله من أفكار تؤثر في انتماءه للمجتمع.[21]

4-العولمة الثقافية: يشير هذا المفهوم إلى اعتبار الثقافة سلعة عالمية تسوق كباقي السلع، وتهدف الى وضع شعوب العالم في قوالب فكرية تنبع أساساً من الثقافة الامريكية(ثقافة واحدة)، وقيامها بتهميش الثقافات الحيّة، الاخرى في العالم، ناهيك عن إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي واختراق الهوية الثقافية (الشخصية الحضارية) للأمم وتعميم قيم الاستهلاك، وطريقة التفكير بهدف الوصول الى ثقافة واحدة بلا حدود.[22]

من خلال التعاريف السابقة لأنماط العولمة نلاحظ أنها تصب في الرأي المعارض للعولمة "الاتجاه النقدي"، وبعيداً عن هذا السجال كذلك نرى أن للعولمة بلا شك إيجابيات ولكن ليس بقدر سلبياتها، وعليه سنركز على الجانب السلبي بأكثر موضوعية، كونها فرضت على العالم العربي عموماً وعلى الشباب العربي بالأخص، تغييرات جذرية عن طريق قوى متحكمة، وهذا لا يمكن إنكاره بأي حال. كما أن أبرز روّاد الاتجاه الوظيفي للعولمة يؤمنون بحتمية العولمة في شكلها الانساني globalization with human face، لذلك سعت المنظمات الدولية الى الاهتمام بمواجهة آثار العولمة على المجتمعات وتبني استراتيجيات، وهذا ما ظهر في برامج مكافحة الفقر وقضايا التمكين في العالم المتأثر.

إن البحث في تداعيات العولمة على العالم العربي، وفي خضم هذه التحولات الآنية يلحظ ثمن التقدّم والحداثة الغربية؛ فالظواهر والامراض الاجتماعية المختلفة: المخدرات، الاباحية، تآكل الأسرة، سيادة منطق اللاشعور، التسرب المدرسي، الاغتراب...وغيرها من مظاهر التفسخ هي نتيجة ذلك الفهم السيء للثقافة، و نتائج مشروع اللحاق بالغرب، وعدم إدراك خطورة الكارثة التي نشهدها في الواقع العربي دائماً وبشكل يومي؛ فالثقافة والهوية العربية هي أدوات لإدراكنا الحسي في الحياة وهي نتاج قرون من البناء الاجتماعي، نراها تغيب شيئاً فشيئاً من انشغالات الأسرة أولاً والشباب العربي ثانياً، والذي أصبح يدور في حلقة: ما هو دوره اليوم في زمن العولمة والسرعة. ؟

إن موضوع الثقافة والهوية في العالم العربي يقودنا الى ذكر ذلك التراث الثري بعمق التاريخ وتنوع عناصره البشرية:(عرب، بربر، أتراك، أفارقه، عجم. الخ)، وتنوع الحضارات المؤثرة فيه:(الاسلامية، الفرعونية، اليونانية، الرومانية. الخ)، اليوم أصبح هناك اهتمام لجعل التجربة الانسانية أكثر تشابهاً، ومرات أخرى السعي الحثيث لإشاعة الفوضى، والاساءة للثقافة والهوية والحضارة من الطرف الْمُعَوْلِم داخل الأنظمة العربية بحجج إصلاحية تارة، في صور الدمقرطة والمعونة الاقتصادية وحقوق الانسان، و تارة أخرى في صور حوار للحضارات يصاحبه، خلق صراع ديني ثنائي (غربي /اسلامي)، صراع محفوف بالريبة الثقافية.[23]

في الوقت ذاته لم تستطع المنطقة العربية ولأسباب كثيرة وموضوعية، أن تنجز مهامها التاريخية على نحو مؤثر وفعال، في الحفاظ على كيانها، بل سعت الى فرض سلطانها واستبدادها على المواطن العربي باسم الشرعية الثورية، و التقاليد والأعراف....وغيرها، هذا لمزيد من التحكم

في دواليب الحكم والاقتصاد، وفقاً لإرادة الحاكم و أولياء الأمور، هذا بعدما نخرها الاستعمار ولسنين طويلة، فلم يتم استيعاب معنى المواطنة، ولا مسؤولية الدولة والمجتمع، بل مزيد من وأد للحرية وتكريس نظام قسري عالي الكفاءة للتحكم في الفرد منذ ولادته الى غاية تنشئته واعداده ليصبح فيما بعد بدون ابداع ولا مجابهة، خضوع وتلقي وأكثر من ذلك إنكار للذات وللبيئة.

على صعيد آخر مؤسسات وأدوات تعليمية واهنة تكرّس الضعف في القدرة على التفكير والنقد، والمخالفة ومجاوزة الراهن، في ظل خطر العولمة الذي ينزع الهوية ويشيع الثقافة الملوثة، ناهيك عن تشويه التقاليد والاعراف التي تصبح في نظر الشباب العربي بالية وسبباً في التخلف، هذا كله باسم الحداثة والعيش الراقي وتزيين الفردية وجمالية المتعة، وقد أشار **المسيري** في كتابه "**العلمانية ،الحداثة والعولمة**" أن هناك أزمة حضارية عامة، فالحضارة أنجزت ما أنجزت من تقدّم من خلال التخلي عن كل القيم بما في ذلك الانسان ذاته، والتحرر من القيمة يعني التحرر من الانسانية التي كانت سبيلاً لتحقيق التقدم.(24)

هذا ما يدعونا لأن نطرح سؤال شبيه بما طرحه رواد مدرسة فرانكفورت عن الحداثة وهو: هل يمكن إنشاء حداثة تلاءم الشباب العربي لا تنفصل عن العقل والقلب ولا تُهمل القيمة؟

إن الحداثة والعلْمَنَة التي تسرّبت إلى الشباب العربي في إطار ما يسمى بالاعتماد المتبادل، والانتشار الثقافي، من خلال منتجات حضارية يومية وأفكار، تجعله يصوغ سلوكاً وتوجهاً أكثر علمانية ومن ثم صياغة ثقافة جديدة، دون أي شعور، هذا ما يسميه **محمد عابد الجابري** ب"استراتيجية الاختراق الثقافي" نتيجة الهيمنة التي يمارسها الطرف القوي في ظّل تطور وسائل الاتصال التي تجتاح الكرة الارضية، واحتكار سوق المعلومات، والتحكم في رغباتهم وسلوكهم وبالتالي خنق كل إبداع وإعادة تشكيل الحياة الاجتماعية للشعوب.(25)

لقد اختزل الغالبية من الشباب العربي، مفهوم الثقافة باستهلاك كل منتج غربي يعتبره بديلاً للموجود(الموروث والبالي)، وبالتالي التسليم بمرجعية واحدة وهي الثقافة الغربية دون اعطاء أهمية للمنظومة الدينية للمجتمع، بحجة أن المجتمعات العربية لا ترفض قضية فصل الدين عن الدولة ضمن النظام العام أو ما يسمون بالعلمانيين العرب، وهذه التبعية الثقافية لم تكن لتصبح لولا الإمبريالية الغربية الملازمة للحداثة والتي جاوزت ذات الانسان عن طريق المعرفة، والمعرفة(مصدر قوة) بحسب الخطاب الامبريالي، هي التحكم في الآخر أو الغاءه، وهذا ما حصل

للمجتمعات العربية؛ حيث تم احتواءها عن طريق المعرفة، وبالتالي الشباب العربي قد أُعجب بالآخر بعيوبه وجماليته، وقوّته، لأن ليس هناك بديل ضمن ما يسميه المسيري ب" ثورة التطلعات" التي تسعى الى خلق شخصية حديثة حركية ومرنة، قادرة على تغيير قيّمها بعد إشعار قصير، وبالفعل زادت تطلعاتنا وأصبحت مسألة الكرامة مسألة غير مستساغة، ولكن على الرغم من ذلك لازال قدر من أهل الحكمة في العالم العربي من يحتفظ بهويته وقيمته وكرامته.(26)

في ظل استحالة منع المعلومة من الانتقال والانتشار الزخم لثقافة الآخر من أجل إحداث شكل من أشكال التجانس القيمي، والذوبان الكلّي في آلة صهر واحدة وهي الحداثة الغربية، من العجيب أن الكثير من المثقفين العرب يسوّقون الثقافة الغربية تحت مسمى نحو فضاء أوسع للإنسانية بدل نقد هذا الوافد، والبحث عن بدائل لاحتواء الشباب العربي من الانسلاخ و"التهور اللاواعي" وبالإمكان الاستفادة من انجازات الحداثة وابداعات الانسان الغربي، التي لا يمكن انكارها. الشباب العربي اليوم وفي خضم الأحداث بادر الى الاستسلام حيث أصبح العقل لديه غير قادر على تجاوز عالم الاشياء والمادة ضمن أيديولوجية وثورة التطلعات المتزايدة "revolution of rising expectations"، والتي هدفها التقدم المستمر وتصعيد معدّلات الاستهلاك وانكار الابعاد الروحية لهذا الوجود، ليس فقط على الشباب العربي وإنّما نجد أن الاختراق الثقافي، قد مسّ العديد من المناطق، التي كانت تتسم في يوم ما، بالخصوصية والصلابة والتماسك، وأصبحت تسير وخطى المواصفات الحضارية الامريكية على وجه الخصوص، فنجد اليابان على سبيل المثال أصبحت ثقافتها وهويتها مهددة بعد عهد احتفال الشاي، والكيمونو، والهايكو....الخ، وسنين طويلة من الخصوصية ها هو الشباب الياباني يلبس "التيشيرت"، ويأكلون "الهامبرغر" ويشربون الكوكاكولا"، ويرقصون "الديسكو" ويستمعون الى الموسيقى الامريكية بكل أنواعها، ويشاهدون أفلام امبراطورية "هوليوود" ويجرون عمليات جراحية على عيونهم حتى لا تكون ضيّقة مثل عيون الآسيويين. هذه الحالة وكما يسميها المسيري من مرحلة الخصوصية الى مرحلة العمومية، ويضيف أن الامركة ليست مخططاً، وانّما هي نسق حضاري يستهدف كل الحضارات.(27)

إن الاطار المادي المنفصل عن القيمة لمنظومة ما بعد الحداثة، سهّل بطريقة أو بأخرى إخفاء الملامح الايجابية للشباب العربي، عبر القنوات الفضائية وما تبثه من مواد لتوجيه هذا المورد البشري نحو الطموح، والصُّوَر والمُثُل، ونحو البعد البراني الذي يلتفت الى الجمال والمباهج الدنيوية،

وانعكست هذه الصورة على اللّغة(أساس الثقافة وأداة الحضارة). وأصبحت الفردية قيمة الفرد ومرجعاً معيارياً ووصفاً جمالياً لفردية حداثية.[28]

في نفس الوقت تم تطبيع العقل العربي مع صور لم تكن مرغوبة من قبل، تطبيع لعملية القتل والعنف، الاباحية والعري، الشذوذ الجنسي...، هذا ما أدى الى اللامعيارية و مزيد من الاختراق الاخلاقي، بمعنى تقويض العقل العربي عن التحليل والنقد وبالتالي فقدان المرجعية والدافعية الحضارية الموجودة في الشخصية العربية التي تقف عند اللامشروع، وترمو الى الابداع والرقي الروحي والمادي معاً، هذا التعدّي كان كلُّه باسم التسامح وتقبل "الغربي".

إن الغرب تقبل الاسلام، حينما كان الاسلام أداة طيّعة في يده حارب بها القومية العربية والشيوعية العالمية، ولكن حين نفض الاسلام عن نفسه هذه التبعية الادراكية للغرب من ناحية الاستعمار والعولمة، تساقط التسامح العلماني، فجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبدأت الحرب ضد الارهاب أي ضد الاسلام واضطهاد كل ما له علاقة بالإسلام، أي أن التسامح كان في جوهره شكلاً من أشكال عدم الاكتراث وليس احترام الآخر.[29]

لقد أصبحت هناك مشكلة حقيقة لدى الشباب العربي(مكمن العقل العربي) في أنّهم لا يبذلون جهدا كبيراً في التمييز بين الاخلاق والمعرفة أي الاختراق الاخلاقي والاختراق المعرفي، بمعنى أن هذا الشباب قد يواجه الاختراق الاخلاقي أحياناً، من قبيل ذلك الدعوة إلى عزل الذكور عن الاناث في الجامعات وغيرها، أو الدعوة لارتداء الحجاب، والكف عن احتفالات الميلاد ورأس السنة...، لكنهم في الوقت نفسه نجدهم غارقين في الاستهلاكية التي هي جوهر العلمانية، كما نجدهم لا يمانعون من مشاهدة الأفلام والأعمال الفنية التي تكرس فلسفة الصراع من أجل البقاء والاباحية المعرفية(الاختراق المعرفي).

مما سبق ووفق تصور الجابري يمكن القول، أن الشباب العربي غالباً يفكر تفكيراً غربياً حتى وهو يتكلم اللغة العربية، وغالباً ما يقضي عطلته في بلد أوربي، وإذا خرج من بلده شعر وكأنه خرج من السجن، أما عادات الملبس والمسكن والأكل والشراب فهي غربية تماماً، لذلك يصل الجابري الى أنه عندنا في تراثنا ما يكفينا من الناحية الروحية، لاستشراف المستقبل وحل قضايا الحاضر، وبالمفهوم الحقيقي التجديد، أما ما تعلق بالجانب المادي والمعرفي، فهو متعلق بجهود الانسانية، يمكن الاستفادة منها، والحداثة اليوم هي حداثة غازية كاسحة على الأقل علينا تبيئَتها مع واقعنا وخصوصيتنا، ومهمة العقل هنا هي الاجتهاد في كل ميدان لتحقيق التقدم.[30]

لقد غلب على شبابنا ثقافة التقليد بوصفه آلة لاشعورية، ذو وظيفة تبريرية لتفسير الواقع وتحديد رؤية للعالم الآخر، تختلقها الذات لدرء جملة من الآثار النفسية التي قد تعصف بدوره الآني. فالموقف من التقليد كما وصفه ابن خلدون:" إن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها، وانقادت اليه، إمّا لنظره بالكمال بما وفّر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، أنّما هو لكمال الغالب".(31)

الشباب العربي نجده انقسم وفق هذه الظروف والمتغيرات العولمية وانهزام الذات العربية أمام الآخر الى ثلاث فئات:(32)

1-الفئة الأولى: شباب حصل على فرص تعليم جيد، وأمتلك مهارات (لغوية، معلوماتية..) تنتمى هذه الفئة بالطبع الى فئة الأثرياء القادرين على شراء خدمات متعددة، وفرص تعليم أرقى وبالتالي أسواق العمل أمامهم متاحة، ولا تصطدم هذه الفئة بالقيم العولمية، طالما أنها نشأت فيها وظاهرة في مظهرهم وسلوكهم، وطبيعة علاقاتهم بالآخر أو أسرهم، لأنهم ببساطة لديهم حرية الاختيار وتحكمهم علاقات أسرية أكثر مرونة، وأقل عبئاً، ولا ينشغلون بالسياسة ولا بتبعاتها حيث أمدّتهم العولمة أدوات رفاهية جديدة للمتعة والمعرفة، وقدرات اتصالية هائلة، في حين ضعفت علاقاتهم بأوطانهم، حيث نجد منهم من هم مزدوجي الجنسية، وهذا ما يسمى بالعزل الاختياري.

2-الفئة الثانية: تضم هذه الفئة الشباب الذين يدركون التعليم، وتكنلوجيا العولمة ممثلة في القنوات الفضائية، أكثر من الانترنت لسهولة الوصول الى الاولى، في حين تن الانترنت وسيلة للتمرد عل القيم والمحظورات، تقوم هذه الفئة بتقليد الفئة الأولى سلوكياً، وتنتشر بينها أنماط الزواج السرية، والغير مكلفة خاصة في الدول ذات الكثافة السكانية، ويتعاظم لدى هؤلاء الشباب، طموح الثراء والرغبة في التمتع بالسلع الاستهلاكية، تبقى هذه الفئة على خط وسطي مع الأسرة، ويبدون بعض الولاء الأسري، ووجه آخر سري للمتعة وتحقيق التوازن بين الثقافة القادمة والثقافة المحلية التي تُغلّفها القيود، شباب هذه الفئة، الأكبر حجماً في العالم العربي ويشكلون القوة الشرائية لمنتجات العولمة لتغذية الطموحات، وهم غالباً أبناء الطبقة الوسطى فئة يسكنها التوتر، بعضهم ينخرط في منظمات المجتمع المدني، خاصة الحقوقية منها، وهي الفئة المرصودة من طرف الاجهزة الحكومية لقوة تأثيرها.

بالرغم من ذلك فهؤلاء الشباب هم الاكثر التصاقاً بهموم الوطن، وهم العمود الفقري للمظاهرات المعبّرة عن السخط، ورفض سياسات الظلم، الفقر، الفساد.... وغيرها، وهذا ما شهدناه في السنوات الاخيرة ضمن ثورات "الربيع العربي"، التي مست بعض الدول، فضلاً عن انشغالهم الملفت بقضايا القومية العربية.

3-الفئة الثالثة: وهي الفئة التي لم تتلقى تعليماً، وحاصلين على مؤهلات متوسطة، الخارجين من عمق الفقر والاهمال، خاصة من القرى الفقيرة، ومناطق العشوائيات، وهي فئة محرومة من تكنلوجيا العولمة، ومستهلكي لمواد إعلامية عبر الاعلام المرئي والمسموع، فئة تقلّد دون نقد عقلي، فهم يشعرون بالدونية والحرمان أمام العولمة، وتدفع بهم الظروف إلى اليأس والعنف والجريمة المنظمة.

أمام هذا كله بقي الفكر العربي عاجزاً عن تقديم اجابات شافية لما يحصل للشباب، وبالتالي هوية هؤلاء وثقافتهم، أمام هذا الاختراق الغربي، وهشاشة الانظمة العربية في معالجة مشاكلها الحاضرة حتى لا نقول التاريخية منها، ونحن نتصور أنه تم:

-تطويق ابداع الشباب العربي من خلال مسايرة إغراق السوق الاعلامي والاستهلاكي بشكل عام وبصناعة غربية بفضل التجارة الحرة، وسياسات الانفتاح الاقتصادي ضمن الاعتمادية المتبادلة.

-تهميش الثقافة العربية و ما يمكن أن تنجزه الفعالية الحضارية لأفراد المجتمع.

III. الشباب العربي في مفترق الطرق: تحديات العولمة والسياسات الحكومية.

لاشك أن العالم العربي يعيش أزمات على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، وهذا ما أدى الى ظهور أزمات اجتماعية قد تعصف بالتنمية الاجتماعية، والأمن الاجتماعي ككل، وتقود الى مزيد من التشرذم الهوياتي والثقافي، مادام لا توجد رعاية ديمقراطية وسياسات اجتماعية فعالة، والى تغيير القيم والمفاهيم التسلطية التي استقرت في ثقافتنا السياسية العربية لعقود من الزمن.

كون العامل الاجتماعي يخضع للاقتصادي، وبالإسقاط على اقتصاديات بلدان العالم العربي نجد أنها اقتصادات تابعة، نظراً لسيطرة الغربية على النشاط الاقتصادي العالمي عن طريق شركاتها العابرة للقارات وبالتالي هي تتأثر بشدة أمام أي أزمات اقتصادية عالمية، ولأدل على ذلك أزمة انخفاض أسعار النفط في الثمانينات، إلى الازمة المالية والاقتصادية العالمية التي بدأت بأزمة الرهن العقاري في الولايات المتحدة الامريكية عام2007، وانفجرت بعدها الى عالمية في سبتمبر

عام2008، ما أدى بالشعوب العربية الى الخروج الى الشارع، فيما سمي "بثورات الخبز" وهذا على اعتبار أن الاقتصادات العربية تعمل وتتحرك في اطار هذا الاقتصاد العالمي وتتأثر به في ظل الفساد الاخلاقي والاقتصادي والسياسي، وأزمات البطالة وجمود هياكل الاقتصاد الريعي، والعجز الهائل في تجارة السلع الغير نفطية، وثراء البرجوازية المتملّكة، وأصحاب النفوذ السياسي والرأسماليين القريبين من مراكز صنع القرار، وضعف رقابة الدولة، وزيادة الفقراء.....الخ.(33)

هذا هو الحال السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الثقافي، الذي طغى على الاحوال الفكرية وحضيَ بنصيب وافر، كما فرض نفسهُ على ايقاع الحياة الذي يتسارع بلا هوادة، في بيئةٍ أين تبنّت النخب الحاكمة مفهوم الدولة المركزية، وعُرّفت المواطنة بأنّها الولاء الكامل لهذه الدولة دولة المؤسسات الأمنية التي قضت على أصوات المعارضة، ناهيك عن إشكالية بناء ثقافة مشاركة. كما يلاحظ أن جميع النخب السياسية في العالم العربي تبنّت مقولات الحداثة المنفصلة عن القيمة والنموذج المعرفي الغربي بدرجات متفاوتة، و في ظل عدم ادراك لتأثيرات العولمة تسعى الدول العربية الى تبني خطابات اصلاحية وسياسات أقل ما يقال عنها أنها سياسات استعراضية لشراء السلم الاجتماعي، ومعالجة اجتماعية للمشاكل تجنباً لأي آثار داخلية تهدد استمرارية الدولة.

بالفعل هذه الثورات التغييرية التي تشهدها المنطقة لا سبيل فيها للحكومات إلاّ، تبني سياسات فعالة أكثر عدالة ومساواة، ويبدو أن القلق أصبح يساور غالبية النخب السياسة حول مصير الدولة الوطنية، هذه الأخيرة التي عجزت طيلة فترات حكمها، عن بناء مؤسسات قادرة على التحكم في المشاكل الاجتماعية المتزايدة، كالهجرة الغير شرعية نحو الخارج، وهجرة العقول، تصاعد الفكر الأصولي والتغريبي، وما يستعمله من خطابات واستراتيجيات للاستقطاب السياسي والايديولوجي للشباب، أما النخب الحاكمة، بدورها سعت الى استخدام خطاب الاسلام السياسي لاستئصال الفكر الاسلامي التكفيري الذي يقضي على التحالفات مع الآخر ويهدد بقاءها واستمرارها، وازداد بذلك العنف الديني في وجه العنف الرسمي.

إن الاهتمام المتزايد للشباب بالفكر الديني وبالإسلام النهضوي على العموم ليس أمراً منبوذاً بقدر ما أن هناك ريبة من حيث أنه فكر ملفّق ومشوّش، ولوحظ له انتشاراً واسعاً لدى قطاع من الشباب، خاصة اذا تم استخدام الغيبيات وموضوعات الغلو، والحرام في الحكم، وفي تشريح المجتمع وتقويم الأداء، والذي يحمل في مجمله طابع الاتهام، وهذا من شأنه أن يخلق مناخاً مشحوناً

بالإدانة يتقبله، كل فرد يائس من المجتمع ، ليهيئ بعدها المناخ النفسي للأفكار المتشددة في إصلاح المجتمع وتقويمه مادام عجزت الحكومات عن ذلك، وبلا شك سيدخل في موجة التدين التي برزت في السنوات الأخيرة.

إن شراء السلم الاجتماعي من طرف الحكومات، والتصريح بخطابات إصلاحية ما هو إلا هروب إلى الوراء ضمن سياسة أملتها الظروف الراهنة. هذا ما سيزيد النخب عبئاً في التصدي للتعصب الديني لدى الشباب، والاختراقات الغربية الأخرى.

أمام هذا المشهد، وكما يرى دياب في أطروحته" **من أجل مدرسة عربية في الانثروبولوجيا النقدية**"، إننا بحاجة الى قراءة وإعادة قراءة للنسق الثقافي العربي في كل مستوياته المحلية والوطنية، والقومية ومتابعة ما جرى فيه من تحولات ثقافية، من أجل تأسيس ثقافة سياسية واقتصادية واستراتيجية، تتابع هذه التحولات وتحللها في ضوء قانون التخلي والاكتساب حتى نتمكن من التحكم في آليات الحاجة والاستجابة، ضمن موجة ما بعد الحداثة.(34)

إن الواقع العربي المتأزم يدعو الحكومات العربية إلى محاولة التكيّف وتجنب الاندماج الكامل في ايديولوجية العولمة، هذا لا يكون إلا عن طريق الوعي الوقائي الذي يستشرف الاخطار ويستبقها بالوقاية المبكرة، ولا يمنحها أي فرصة للكمون، أو الاستفحال المرضي المنهك، ناهيك عن الاستنجاد بالوعي الحضاري بشكل أقوى، لأنه سيؤدي الى الانفتاح على حكمة الخبرات البشرية في حقولها المعرفية والوظيفية، واعتبار ذلك كسباً بشرياً مشتركاً، وتعزيز القدرة لدى كل مجتمع على المواكبة او المنافسة، او الريادة الحضارية من ناحية، وعلى التواصل التكاملي مع بقية اهتمامات وهموم البشر المعاصرين له من ناحية أخرى.(35)

في ظل هذه التفاعلات العولمية، والتي لم تتمكن أي دولة من ان تبقى في منأى عنها، يظل الشباب العربي ضمن ثقافته، وكما يشير بن نبي فاقداً للفعالية لان ثقافته ببساطة الفت اعلاء جانب المطالبة بالحق على القيام بالواجب؛ فكان ولا يزال سلوكه وفق هذا الأساس سلبي وغير فعال.(36)

إنّ الحكومات العربية مطالبة اليوم وأكثر من أي وقت مضى، وفي اطار فقدان الثقة المتبادلة بينها وبين الشباب بـ:

- رسم سياسات اجتماعية لتنمية اجتماعية متكاملة للشباب، وتكريس ثقافة سياسية مشاركاتية وليست تابعة، باعتبار أن الشباب رأسمال بشري لابد من الاستثمار فيه من الداخل وعدم تركه للاستقطاب من الخارج ليصبح سلاحاً موجهاً للداخل.
- تحديد الثقافة والمقصود بالتحديد هنا ما يتم على مستوى القيم والمفاهيم والسلوكيات وردها الى أصولها ومعرفة اسرارها ومكوناتها ومطلقاتها وهذا لا يكون إلا بربط القيم السلوك بالحضارة.(37)
- في خضم اعتبار الثقافة العربية خصماً حضارياً لابد من تحذير الفروقات الثقافية، لأن في ظل العولمة وعلى رأي برتراند بادي في دراسته "انقلاب العالم" أن الدولة سوف تهتز أركانها بشدة من جراء انتشار اللاعبين العبر قوميين الذين يفلتون من سيادة الدول، إن لم نقل بقوة القانون.(38)
- في حين أنه على بلدان العالم العربي ربط الثقافة بالحضارة، واي حضارة لا ترغب في الانصهار في أخرى، لابد من إغناء القاعدة الايمانية بالبعد الثقافي لدى الشباب العربي عن طريق تشجيع العمل الاجتماعي ضمن المنظمات الأهلية الاجتماعية، بمشاركة حقيقية لا صورية.
- الوعي بالمستقبل والتشجيع على الدخول في علوم المستقبل لبناء اسس نهضة حقيقة مع فهم وتبيئة المتغيرات الدولية، بجوانبها السلبية والإيجابية.
- إعطاء قيمة أكبر للمؤسسات التقليدية للتنشئة الاجتماعية والسياسية(الاسرة، دور العبادة، الخ)، ومن ثم المدرسة والجامعة...الخ، واحتوائها في اطار عمل جماعي تشاركي، وتطوير لديها العقلية النقدية، ومن ثم المقدرة الابداعية.
- اقامة سياسات اعلامية ذات انتاج تنافسي عالي الجودة لمواكبة التغييرات العالمية، واستقطاب الشباب للإبداع والمساهمة في هذا المجال.
- ترشيد وعقلنة سلوكيات التقليد لدى الشباب ضمن موجة ما بعد الحداثة، عن طريق تحديث وإعادة هندسة مؤسسات الدولة ككل، بصورة ديمقراطية و دون اللجوء للعنف.
- تجديد جيل النخب التي تحكم باسم الشرعية الثورية، بجيل صاعد من نخبة الشباب الواعي في شتى المجالات.

- رسم سياسات تحترم حقوق الانسان السياسية، ولاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية وتضمنها قانونياً وممارساتياً، ضمن دولة الرفاه الاجتماعي، ليس فقط اثناء الانتخابات والمناسبات الرسمية.
- اعتماد سياسات ثقافية انسانية فاعلة في الثقافة البشرية، مؤمنة بالحوار والتسامح والتفاعل مع الآخر، واقناعه بالبدائل.
- اعتماد سياسات تطور المناهج البحثية وتنميها، بما يتلاءم مع التطورات المتسارعة في المجتمعات العربية.

خلاصة البحث:

1- في اطار الصراع المحتدم بين مؤيدي العولمة ومعارضيها، وضمن أطروحة" **التنوع الثقافي**" التي ترعاها منظمات عالمية، نراها فرصة لتجنب آثار العولمة من حيث انها دعوة للمجتمعات للتوفيق بين المطلب المزدوج للوحدة والتنوع: الوحدة باعتبارها شرط التماسك الجمعي والتنوع باعتباره حقيقة حتمية وعامل ثراء.

2- إن مواجهة المادية الغربية المنفصلة عن القيمة، أصبحت صعبة ولكنّها ليست مستحيلة بالنسبة للعالم العربي؛ الذي لديه المادة التي يمكن أن يغيّر بها مادية الغرب، بإنتاج ما يمكن انتاجه ليغزو به الآخر في شتى المجالات وهنا على هذا الاخير، أن يعيد النظر في مواقفه، ومن ثم نسعى نحن في البحث عن أدوات جديدة من أجل استراتيجية –امبريالية عربية– في إطار المعرفة والاخلاق لما لا.

3- إن واقع الشباب العربي المليء بصور التفكك وفقدان الثقة والمعايير، بالذات وفي الواقع لا يكون تفسيره ومرده فقط الى العولمة، بل في الواقع هو نتيجة لظروف سياسية مآلها الاحتضار التاريخي الحتمي، ولا شك أن الاحداث التي تمر بها المنطقة العربية هي خير دليل على ذلك.

إن خطر عدم فعالية وحركية العقل العربي، هو خطر ثقافي كبير كما يقول سليمان العسكري، ليس فقط على العقل الثقافي العربي وحده، بل على المجتمعات وأنظمة الحكم أيضاً، فخطر الانتشار الثقافي على ثقافة الشباب العربي تستدعي الدافعية الحضارية التي تؤدي الى تطوير وتجديد الذات، وعلى كل باحث في أزمات العالم العربي الذي يزخر بمقومات وامكانات قائمة وكامنة لديه (تاريخية، ثقافية، حضارية، واقتصادية،...) أن يبحث فقط في قيمة الفعالية الحضارية وعدم إهدارها لاحتواء هذا الشباب والاستثمار فيه بأكثر جدية وعقلانية.

الهوامش:

(1) أحمد ابراهيم محمود، وآخرون، حال الأمة العربية: النهضة أو السقوط، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، ص 140.

* أنظر دراسة سمير أمين، "نحو نظرية للثقافة غير أوربية التمركز"، مجلة الوحدة، العدد: 51، 1988، ص 03.

(2) أحمد ابراهيم محمود، وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 139-140.

(3)-Keohane, R., Nye, Jos. (1998). Power and interdependence in the information age. Foreign affairs review.77 (5), pp.82-83.

(4) نصر محمد عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة: النموذج المعرفي، النظرية، المنهج،(ط1)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. 2002، ص 397.

(5) الحسيني السيّد، التنمية والتخلف: دراسة تاريخية بنائية، (ط2)، القاهرة: دار المعارف، 1982، ص ص56-57.

(6) Spengler, O. (1932). The decline of the west. (vol.02). (Francis Atkinson, Trans.). New York :n p, p.31.

(7) عماد الشريفين، ووليد المساعدة، "العولمة الثقافية"، مجلة العلوم الاسلامية، العدد الأول: جانفي 2010، الأردن: جامعة اليرموك، ص. 254.

(8) بن الشيخ، عبد القادر، "الشباب العربي والاذاعة والتلفزيون"، "الإذاعات العربية، العدد الأول: 1995، ص 10.

(9) سليم، محمد السيد، العولمة والعلاقات الدولية، محاضرة قدمت في إطار الموسم الثقافي، قسم العلوم السياسية، القاهرة: جامعة القاهرة، 2000.

(10) زرنوقة، صالح سالم، العولمة والوطن العربي، القاهرة: جامعة القاهرة. 2002، ص 12.

(11) عز الدين، اسماعيل، "العولمة وأزمة المصطلح". مجلة العربي، العدد: 498، 2000، ص 163.

(12) أبو العلا، محمد حسين، دكتاتورية العولمة: قراءة تحليلية في فكر المثقف، القاهرة: مكتبة مدبولي 2004، ص 34.

* التأكيد أن مصطلح العولمة هو(عالَم)، ويفترض لها فعلاً: عولَمَ-يُعَولِمُ-عَولَمَةً، وذلك بالتوليد القياسي من المصدر الصناعي "عولَمِيَة"، وليست "عالمِيَة، لأن العالمية منسوبة الى العالَم، ولا ينطبق المصطلح على الثقافة الامريكية فقط، ولكنها بالتأكيد مُصدّراً للعولمة واكبر مستفيد منها. أكثر التفاصيل يمكن الرجوع الى: عز الدين، اسماعيل، العولمة وأزمة المصطلح، مجلة العربي، 2000.

(13) أبو العلا، محمد حسين، مرجع سابق، ص 38.

(14) بلقاسمي، آمنة ياسين، ومزيان، محمد، "العولمة الثقافية وتأثيرها على هوية الشباب والمراهقين الجزائريين". مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، 2012، العدد 08، ص 43.

* Kof: index of globalization measures of three dimensions of globalization: economic, social, political and data on information flows, data on personal contact, and data on cultural proximity.

** باحث أمريكي وأستاذ العلوم السياسية في جامعة كولورادو.

(15) حيدر، محمود، "تحولات الدولة الامة في سجالات الفكر الغربي"، مجلة الفكر، العددان: 17-18، 2003، ص 02.

(16) بن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، الجزائر: دار الفكر، ص 83.

(17) راغب، نبيل، أقنعة العولمة السبعة، القاهرة: دار غريب، ص ص 337-349.

(18) كنعان، أحمد علي، "الشباب الجامعي والهوية الثقافية"، ورقة بحث قدمت في إطار دمشق عاصمة الثقافة العربية، دمشق: جامعة دمشق، كلية التربية، ص 09.

(19) بلقاسمي، آمنة ياسين، ومزيان، محمد، مرجع سابق، ص 45.

(20) خريسان، باسم علي، العولمة والتحدي الثقافي، بيروت: دار الفكر، 2001، ص 19.

(21) كنعان، مرجع سابق، ص17.

(22) شدود، ماجد، العولمة: مفهومها ومظاهرها، وسبل التعامل معها،(ط4)، دمشق: 2002، ص131.

(23) جون، بيليس، و ستيف، سميث، عولمة السياسة العالمية، دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص 783.

(24) المسيري، عبد الوهاب، العلمانية والحداثة والعولمة، (ط1)، دمشق: دار الفكر،2009، ص 54.

(25) سمحة، عمر مصطفى محمد، "العولمة الثقافية والثقافة السياسية العربية: برامج الاصلاح الديمقراطي والثقافة السياسية التشاركية في الوطن العربي"، 2005، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ص 34.

(26) المسيري، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 198.

(27) المرجع نفسه، ص 266.

(28) بروكهارت، جاكوب، حضارة عصر النهضة في ايطاليا، القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، 2005، ص 240.

(29) المسيري، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 139.

(30) الجابري، محمد عابد، وحنفي، حسن، حوار المشرق والمغرب: نحو اعادة بناء الفكر القومي العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1990، ص 72.

(31) ألسيد، عزّت، انهيار مزاعم العولمة: قراءة في تواصل الحضارات وصراعها، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 85.

(32) أبو زيد، جيهان، "الشباب العربي والعولمة"، ورقة مقدمة الى ورشة عمل: ملتقى الشباب والاهداف التنموية للألفية في الوطن العربي، (22-23 جوان، 2010)،UNDP، اليمن: صنعاء، ص 08.

(33) أحمد ابراهيم محمود، وآخرون، حال الأمة العربية: النهضة أو السقوط، مرجع سابق، ص 296.

(34) دياب، عز الدين، "من أجل مدرسة عربية في الأنثروبولوجيا النقدية"، مجلة الفكر، العدد: 20، 2004، ص 227.

(35) برغوث، الطيب، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري، الجزائر: دار الشاطبية للنشر والتوزيع، 2012، ص 22.

(36) بن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص ص 50-56.

(37) عماد الشريفين، ووليد المساعدة، العولمة الثقافية، مرجع سابق، ص 267.

(38) حيدر، محمود، تحولات الدولة الأمة في سجالات الفكر الغربي، مرجع سابق، 06.